Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملأى بما يسمّى بالترقيع الفني، ولكن أهميته تتبدى في أنه كان رسالة شديدة الوضوح والبيان من سجين عاش تجربة الاعتقال والنفي، تقول بجرأة ماهكذا الحياة تعاش، وماهكذا البشر الخطاؤون يعاملون.

-8-

إذن، لقد كشف دوستويفسكي من خلال (ذكريات من منزل الموتى) قيعان الظلم الذي يرسف فيها خلق اقتيدوا إلى عالم سفلي أشبه بالمقبرة، لا وجود فيه لأي معنى من المعاني الإنسانية الرهيفة؛ عالم يسيطر فيه الأشرار والأوغاد على كل شيء، وبذلك صارت حياة المظلومين حياة مزادة بالمرارة والقرف والذوبان البطيء، فأخبار الصباح والمساء في المعتقل حافلة بأطياف الموت أو الجنون. ذلك العمل هو الذي فتحَ عيون الشعب أولاً، والمسؤولين ثانياً تجاه الواقع المرعب المخيف المسمّى بـ (سيبيريا) إذ تعالت، بعدئذٍ، الصيحات والآراء والنداءات من أجل تحسين واقع المنفى وظروفه، وقد صدرت بالفعل قوانين وقرارات عدة من أجل هذه الغاية.

بعد كتابته للـ (ذكريات...) لم يكتب دوستويفسكي سوى عملين، الأول: رواية عنوانها (مذلون ومهانون) والثاني: كتاباته التي لها علاقة برحلته إلى أوربا، وقد نشرها منجمة في الصحف، وجاءت تحت عنوان (مشاعر شتوية عن رحلة صيف). أما روايته (مذلون ومهانون) فقد كتبها بعد سنة واحدة من (الذكريات) أي في عام (1861)، ولم تلاق قبولاً يقاس أو يتوازى بقبول (الذكريات) ذلك لأنها عدت جسر عبور مابين كتاباته الشبابية وروايته الكبيرة بدءاً من (الجريمة والعقاب).

تقع رواية (مذلون ومهانون) في حوالي 500 صفحة، وتتحدث عن شخصيات أبرزها (إيفان بتروفتش- المخلص لمبادئه-، و(ناتاشا)، و(كاتيا)، وبيان العلاقة الجامعة مابين هذا الثالوث، وتكاد الرواية تكون قصة (ناتاشا) المرأة المهجورة، متصدعة العاطفة التي على وشك أن تنال رتبة الجنون لإخلاصها. غير أن الرواية تبيّن وجوه العلاقة المتعددة مابين الشخصيات، وتناقض العلاقات العاطفية في غاياتها ووسائلها. إنها تصور نبل الحب لدى الطبقات الفقيرة حتى ولو حرمت منه، ودفاعها عن هذا الحب المحرم بعيد المنال، وبالمقابل تشير إلى (تسليع) الحب ووضاعته لدى الطبقات المالكة، وعده فرصة تكتسب، أو تضيع حسب الظروف، وأنه شيء من الأشياء ليس إلا.